مجلة جامعة الأقصى- سلسة العلوم الإنسانية، المجلد السابع والعشرون، العدد الثالث، أغسطس 2023، ص:312-330
ISSN 2518-5810

المحبة عند ابن القيم الجوزية

أ. هنادي محمد الحافي

معلمة بوازرة التربية والتعليم – غزة

أ.د. عبد الله عبد الحي أبو بكر

أستاذ العقيدة- جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية- السودان

(تاريخ الاستلام 2023/02/09، تاريخ القبول 2023/03/21)

Love according to Ibn Al-Qayem

Mr. Hanadi Mohammed Al-Hafi

Teacher at the Ministry of Education – Gaza

Mr. Dr. Abdullah Abd Aulhay Abu Bakr

Professor of Creed - University of the Quran and Islamic Sciences - Sudan

(Received 09/02/2023, Accepted 21/03/2023)

أ. هنادي الحافي - E-mail address: hnadyalhafy931@gmail.com

أ. د. عبد الله أبو بكر - E-mail address: hnadyalhafy931@gmail.com

المحبة عند ابن القيم الجوزية

الملخص:

تناول البحث:

موضوع المحبة عند **ابن قيّم الجوزيَّة**، من خلال بيان مفهومه وكل ما يتعلق به.

كما تناول البحث ترجمة للعلامة ابن القيم رحمه الله، وبيان عصره وبيئته ونشأته ورحلاته العلمية.

وقد ناقش البحث قضية المحبة من منظور ابن القيم رحمه الله، وبيان مفهوم المحبة التي أمر الله عز وجل عباده بها.

وقد ركز البحث بشكل أساسي على بيان تقسيم ابن القيم –رحمه الله – للمحبة من حيث مراتبها ودرجاتها وعلاماتها وشواهدها، والدواعي التي تستوجب المحبة، والأسباب لهذه المحبة.

الكلمات المفتاحية: المحبة، ابن القيم، درجات المحبة، مراتب المحبة، دواعي وأسباب المحبة، علامات المحبة وشواهدها.

Abstract:

The research included:

Love topic according to Ibn Al-Qayem Al-Jawzeya through stating its concept and every related thing to it. Also it included translation for the scholar himself, stating his age, environment, generation and scientific trips. He discussed the love issue from his perspective, and stating the love topic which god orderd by it. But the research mainly focused in love devisions by its degrees, signs, grades, evidence and causes for this love.

Key words: love, Ibn Al-qayem, love grades, love degrees, love causes, love evidences and signs.

المقدمة :

حرص الإسلام على غرس المحبة بين المسلمين.

ومسألة المحبة هي من الميول الإنسانية التي فُطر الإنسان عليها، فهي تسير بشكل طبيعي يتناسب مع الميول البشرية.

ولأهمية هذه المسألة نجد أن الإسلام يناقش أمرها باستفاضة ووضع لها من الأسس والضوابط ما يكفل سيرها في الاتجاه الصحيح الذي يتماشى مع تعاليم الاسلام.

ويُعد ابن القيم من أوائل العلماء الذين تناولوا مسألة المحبة بالتفصيل الشامل الوافي لكل ما يتعلق بهذه المسألة.

فمن مصنفات ابن القيم رحمه الله التي تكلَّم فيها عن المحبّة، كتابه المسمى "روضة المحبين ونزهة المشتاقين"، ومع تخصيصه هذا الكتاب عن "المحبة" إلا أنه تكلم عنها في بعض كتبه الأخرى التي سيتم تناولها في هذا البحث.

أهداف البحث:

ويهدف هذا البحث إلى:

1- ايضاح موقف ابن القيم –رحمه الله– من هذه المسألة، من خلال تتبع ما ذكره من مسائل كثيرة تتعلق بهذه القضية في كتبه المتعددة، أمثال: مدارج السالكين، وطريق الهجرتين، وروضة المحبين، وإغاثة اللهفان من مصائد الشيطان.

2- ثم تم تناول هذه المسألة "المحبة" وربطها بواقعنا، وما يتم ملاحظته من شرك في محبة الله عز وجل.

أهمية البحث:

1- بيان أن الإسلام كان حريصاً على غرس المحبة بين الإنسان وأخيه الإنسان، فالإسلام أرسى

أفضل القواعد للعلاقات الإنسانية بين الأفراد والأمم والشعوب.

2- المحبة سبب لرضى الله تعالى وحبه، ومغفرته ودخول جنته.

3-المحبة هي المنزلة التي تنافس المتنافسون فيها وإليها.

4- ما نراه واضحاً جلياً في هذا الزمان من شرك للمحبة مع الله عز وجل.

الدراسات السابقة:

لم أجد من الباحثين من أفرد دراسة خاصة عن المحبة عند ابن القيم، رغم أهمية هذه الدراسة، وتميزه رحمه الله، في هذا الجانب عن غيره من علماء الأمة. بل تناول الباحثون مواقف ابن القيم الجوزية رحمه الله في جوانب العقيدة واللغة والنحو إلخ.

كما تم تناول المحبة بشكل عام بدون الاقتصار على شخص ابن قيم الجوزية وهي كالتالي:

أ- الكتب:

- الحب الإلهي عند ابن القيم، محمد عبد رب النبي سيد محمد، الناشر: دار الأديب للطباعة والنشر والتوزيع، سنة النشر: 2021م.

- الحب بين الله وعباده، نبيل عطوة، مصر.

- المتحابين في الله، للإمام عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي، تحقيق وتعليق: مجدي السيد إبراهيم، الناشر: مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع.

- الحب والمحبة الإلهية، محي الدين ابن العربي، جمع وتأليف: محمود محمود الغراب، سنة النشر: 1983م.

- الحب الإلهي عند رابعة العدوية والصوفية، د. جبر خضير البيتاوي.

ب- رسائل الماجستير:

- محبة الله في القرآن والسنة، سميرة أحمد مصطفى مجدوبة، رسالة ماجستير، اشراف: الدكتور حسين النقيب، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، 2007م.

- الحب الإلهي بين السلف والصوفية، لطف الله بن ملا خوجة، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، 1431 هـ، 2009 م.

- الحب في الله في ضوء الكتاب والسنة، دعاء عفيف تركي حسين، رسالة ماجستير، اشراف: أ.د محمد حافظ الشريدة، جامعة النجاح الوطنية نابلس، سنة النشر: 2011م.

- حقيقة المحبة في العقيدة الإسلامية، رنا أحمد محمد أبو حبيب، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية بغزة، كلية أصول- اشراف :أ.د. جابر زايد عيد السميري، :1432هـ - 2011 م.

ت- الأبحاث:

- بحث محكم بعنوان: صفة المحبة الإلهية - إثباتها وثمرات الإيمان بها، د. صالح الرقب، بجامعة الأقصى 1431 هـ، 2010 م.

- الحب والكراهية في الإطار الديني . ورقة بعنوان: فلسفة الحُب في الإسلام، منظور الإمام ابن قيم الجوزية - إعداد: محمد خليفة صديق - مؤتمر فيلادلفيا الدولي الثالث عشر.

منهج البحث:

تقتضي طبيعة هذه الدراسة الجمع بين المنهج الوصفي والتحليلي والاستنباطي، وذلك بالتتبع الدقيق والبحث، وذلك في المسائل والموضوعات محل الدراسة، ثم الاجتهاد في دراستها وتحليلها وتصنيفها وردها إلى العناصر المكونة لها لاستخلاص النتائج العلمية منها.

خطة البحث:

تشمل محتويات هذا البحث على مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث وخاتمة وفيما يلي بيانها:

أما المقدمة فتشتمل على أهمية البحث، وأهداف البحث، ومنهج البحث، والدراسات السابقة، هيكل البحث.

التمهيد: يشتمل على ترجمة للإمام ابن القيم. وتعريف للمحبة.

المبحث الأول: حدود المحبة وأقسامها.

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: حدود المحبة

المطلب الثاني: أقسام المحبة ومراتبها

المطلب الثالث: علامات المحبة وشواهدها

المبحث الثاني: محبة الله للعبد.

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مفهوم محبة الله للعبد

المطلب الثاني: الأسباب الجالبة لمحبة الله

المطلب الثالث: دواعي المحبة

المبحث الثالث: محبة العبد لله.

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: معنى محبة العبد لله

المطلب الثاني: لوازم محبة الله

المطلب الثالث: شرك المحبة

الخاتمة: وفيها أهم النتائج التي توصلت إليها الباحثة من هذا البحث، وأهم التوصيات التي تخدم غرض البحث.

التمهيد

أولاً: ترجمة ابن قيم الجوزية

1- مولده ونشأته:

ولد في السابع من صفر، سنة إحدى وتسعين وستمائة [1]. والده أبوبكر بن أيوب، عالم جليل تقي صالح، كان قيّماً على المدرسة الجوزية بدمشق، ولهذا اشتهر (قيم الجوزية)، كما اشتهر به أبناؤه وذريته من بعده [2].

ولذا فقد أشاد مترجموه بأخلاقه الفاضلة وزهده وعبادته.

يقول ابن كثير: " كان حسن القراءة والخُلُق، كثير التودد، لا يحسد أحداً ولا يؤذيه، ولا يستعيبه، ولا يحقد على أحد، وكنتُ أصحب الناس له وأحب الناس إليه، ولا أعرف في هذا العالم في زماننا أكثر عبادة منه، وكانت له طريقة في الصلاة يطيلها جداً، ويمد ركوعها وسجودها، ويلومه كثير من أصحابه في بعض الأحيان فلا يرجع ولا ينزع عن ذلك رحمه الله...، وبالجملة كان قليل النظير في مجموعه وأموره وأحواله، والغالب عليه الخير والأخلاق الفاضلة" [3].

وقد بدأ ابن القيم طلبه للعلم من سن مبكرة، وعلى وجه التقريب في السادسة من عمره، ويظهر ذلك بالمقارنة بين تاريخ ولادته سنة 691هـ، وتاريخ وفاة أحد شيوخه الذين أخذ عنهم، وهو الشهاب العابر [4]، وقضى عمره رحمه الله تعالى في التعليم والتعلم [5].

---

[1] انظر: الصفدي، الوافي بالوافيات، ج2/ 195.

[2] المرجع السابق، ج195/2.

[3] انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج293/14.

[4] هو شهاب الدين أحمد بن عبد الرحمن بن عبد المنعم المقدسي الحنبلي (628- 697هـ)، عابر الرؤيا، كان عجباً في تفسير المنامات، وله فيها اليد الطولى. انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج13/ 353، ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، ج288/4.

[5] انظر: ابن رجب، الذيل طبقات الحنابلة، ج 172/5.

كانت الرحلة في طلب العلم ولقاء الشيوخ والتلقي عنهم دأب أكثر طلاب العلم، وبالنسبة لابن القيم فإن من ترجموا له لم ينبهوا إلى رحلاته العلمية، سوى حجّاته ومجاورته بمكة. ويقول في كتابه (هداية الحيارى): " وقد جرت لي مناظرة بمصر مع أكبر من يشير إليه اليهود بالعلم والرياسة " [6].

2- عصر ابن القيم:

لا شك أن هناك علاقة وثيقة، وصلة وطيدة بين المرء وبيئته التي عاش وترعرع فيها، وبين الصفات التي تميز شخصيته، ولذلك فإنه من الضروري عند دراسة شخصية من الشخصيات إلقاء الضوء على الزمان والمكان اللذين وُجِدت فيهما تلك الشخصية، وبخاصة أولئك الذين يعيشون أحداث عصرهم، ولهم صلة بمشكلاته، وعلى رأس هؤلاء: الدعاة، والمصلحون، والعلماء.

وابن القيم – رحمه الله – كان أحد أولئك العلماء الأعلام الذين لهم إسهام في مسيرة العلم والدعوة والإصلاح بين أبناء جيله، والأجيال التي جاءت من بعده إلى يومنا هذا.

عاش ابن القيم في الفترة ما بين سنة (691- 751 هـ)، وذلك في عصر دولة المماليك. وقد كان العالم الإسلامي – بصفة عامة وبلاد العراق والشام ومصر بصفة خاصة – في هذه الحقبة الزمنية مليئاً بالقلاقل، مشحوناً بالاضطرابات السياسية، تمثَّل أهمها في الغزو التتري الشرس على العالم الإسلامي بقيادة (هولاكو خان)، الذي دمَّر الحضارة الإسلامية في مساحات شاسعة من الأرض تمتد من حدود الصين والهند إلى بلاد العراق والشام [7].

ثم كانت وقعة شقحب سنة 702هـ، التي هَزمت فيها جيوش الشام ومصر التتار هزيمة مُرة [8]، وزال خطرهم عن بلاد الشام حتى نهاية القرن الثامن تقريباً.

ومن الأحداث السياسية المهمة في ذلك العصر انتقال الخلافة العباسية إلى مصر في زمن الظاهر بيبرس سنة 659هـ، وذلك بعد سقوطها في بغداد على يد التتار بثلاث سنين [9].

في ظل الوضع السياسي المتردي، وهذه الظروف غير المستقرة، ساءت الحالة الدينية في البلاد، وضعف الوازع الديني في نفوس الكثيرين، وارتكبت الكثير من المحرمات، وشاعت المنكرات.

كما انتشرت في ذلك الوقت بعض الفرق الضالة التي تنسب- كذباً- إلى الإسلام، وعلى رأس هذه الفرق: الرَّافِضَة [10]، والنُّصَيْرِيَّة [11]، وغيرهما، وما

---

[6] ابن قيم الجوزية، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، ص 265.

[7] انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج13/261-262. انظر: المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج 1/ 422-426، ابن كثير، البداية والنهاية، ج13/ 259.

[8] مرج الصُفَر: موضع بين دمشق والجولان، وشقحب اسم موضع هذا المرج. انظر: الحموي، معجم البلدان، ج15/ 34.

[9] انظر: زيادة، السلوك، ج2/ 443- 444، فراج، دولة المماليك، ص: 132.

[10] سموا بذلك: لأن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه خرج على هشام بن عبد الملك، فطعن عسكره في أبي بكر، فمنعهم من ذلك فرفضوه، فقال لهم: رفضتموني؟ قالوا: نعم. انظر: الاسفرائيني، الفَرْقُ بين الفِرَق، ص 45- 47.

[11] وهم يُنْسبون إلى محمد بن نصير النميري، وكان من أصحاب الحسن العسكري، وادَّعى النبوة، ثم ادَّعى الربوبية. ومن اعتقاداتهم: تأليه علي، والشهادة عندهم: أشهد أن لا إله إلا علي بن أبي طالب، وقالوا: علي هو الذي خلق محمداً وسماه، وأن الله كان يَحلّ في علي، وأنه في اليوم الذي قلع فيه باب

كان لهذه الفرق من أثر في زعزعة الاستقرار الديني في المجتمع، والكيد للمسلمين.

كما انتشر المُنَجّمُون، وكثر قصد الناس لهم .

ومن المنكرات التي سادت أيضاً: الغناء والطرب، وقد انتشر بدرجة كبيرة نتيجة لتشجيع السلاطين أنفسهم – مثل الناصر محمد– لهذه الناحية .

على الرغم من الضعف الذي اعترى المجتمع في عصر المماليك إلا أن الحياة العلمية كانت زاخرة بفنون العلم، وكثرة العلماء، والمدارس العلمية.

ومما يدل على ازدهار الحياة العلمية في عصر المماليك تلك الثروة العلمية، والكم الهائل من مؤلفات ذلك العصر في شتى العلوم، والتي تعد أهم المصادر العلمية إلى يومنا هذا، عدا المخطوطات الكثيرة منها .

3– مؤلفاته:

لقد خلّف لنا ابن القيم ثروة علمية ضخمة في فنون متنوعة، فألّف الكثير من الكتب التي قاربت المائة، مما يدل على غزارة علمه وسعة اطلاعه.

ذكر الشيخ بكر أبو زيد أن المترجمين لابن القيم والباحثين في سيرته اختلفوا في تعداد كتبه وتفاوت تعدادهم فيما بين تسعة عشر، إلى خمسين إلا أن الشيخ بكر أبو زيد ذكر أنه بعد تتبع أسماء مؤلفاته من ثنايا كتبه ومن غيرها فبلغ مجموعها ثمانية وتسعون كتاباً والمطبوع منها ثلاثة وثلاثون كتاباً.

4– وفاته:

توفي ابن القيم "في ليلة الخميس في الثالث والعشرين من رجب، وقت أذان العشاء، سنة 751هـ. ومات وقد كمل له من العمر ستون عاماً" [12].

وصلى عليه من الغد بعد صلاة الظهر بالجامع الأموي ثم بجامع الجراح، وقد كانت جنازته حافلة شهدها القضاة والأعيان والصالحون، وتزاحم الناس على حمل نعشه، ودفن بمقبرة الباب الصغير بدمشق عند والدته، رحمهما الله تعالى [13].

ثانياً: تعريف المحبة

1– تعريف المحبة لغةً:

حبب: المحبة: نقيض البغض. والمحبة: الوداد والمحبة، والتحبب: إظهار المحبة [14].

والمحبَّة: إرادة ما تراه أو تظنّه خيراً، وهي على ثلاثة أوجه:

– محبّة للّذة، كمحبّة الرجل المرأة، ومنه:﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [سورة الإنسان: 8].

– ومحبّة للنفع، كمحبة شيء ينتفع به، ومنه: ﴿وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة الصف: 13].

– ومحبّة للفضل، كمحبّة أهل العلم [15].

بالنظر إلى التعاريف السابقة: يُلاحظ أنها تدل على أن المحبة شيء عظيم يستوجب تعظيم المحبوب وتقديمه على كل ما سواه وطاعته.

2– تعريف المحبة اصطلاحاً:

خيبر كان الله – تعالى عما يقولون – قد حلّ فيه. ولهم غير ذلك من الاعتقادات الباطلة. انظر: الحفني، موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب والأحزاب والحركات الإسلامية، ص 651– 652.

[12] ابن كثير: البداية والنهاية، ج 203– 204.

[13] فراج، دولة المماليك، ص 120.

[14] ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، ج176/15.

[15] ابن منظور، لسان العرب، ج1/ 289–292.

يقول ابن قيم الجوزية: (المحبة: المحبة سفر القلب في طلب المحبوب، ولهج اللسان بذكره على الدوام. أما سفر القلب في طلب المحبوب: فهو الشوق إلى لقائه، وأما لهج اللسان بذكره: فلا ريب أن من أحب شيئا أكثر من ذكره. والمحبة هي ما لا ينقص بالجفاء. ولا تزيد بالبر) [16].

ويقول القاضي عياض: وحقيقة المحبة الميل إلى ما يوافق الإنسان وتكون موافقته له:

– إما لاستلذاذه بإدراكه كحب الصور الجميلة والأصوات الحسنة والأطعمة والأشربة اللذيذة وأشباهها مما كل طبع سليم مائل إليها لموافقتها له.

– أو لاستلذاذه بإدراكه بحاسة عقله وقلبه معاني باطنة شريفة كحب الصالحين والعلماء وأهل المعروف المأثور عنهم السير الجميلة والأفعال الحسنة فإن طبع الإنسان مائل إلى الشغف بأمثال هؤلاء حتى يبلغ التعصب بقوم لقوم والتشيع من أمة في آخرين ما يؤدي إلى الجلاء عن الأوطان وهتك الحرم واختزام النفوس.

– أو يكون حبه إياه لموافقته له من جهة إحسانه له وإنعامه عليه فقد جبلت النفوس على حب من أحسن إليها [17].

والذي يظهر للباحثة: أن المحبة تدور حول معاني الخير والود، حب الله لعبده، وحب العبد لله، بتطيب لسانه بذكره والعمل بما يرضيه.

المبحث الأول: حدود المحبة وأقسامها

المطلب الأول: حدود المحبة

مما اتفق العلماء عليه أن المحبة هي الركن الأقوى للعبادة، والصلة الوثيقة لها، مع الرجاء والخوف ولكنها الأعظم.

وقد ذكر ابن القيم حدود المحبة بقوله: (لا تحد المحبة بحد أوضح منها. فالحدود لا تزيدها إلا خفاء وجفاء. فحدها وجودها. ولا توصف المحبة بوصف أظهر من المحبة. وإنما يتكلم الناس في أسبابها وموجباتها، وعلاماتها وشواهدها، وثمراتها وأحكامها. فحدودهم ورسومهم دارت على هذه الستة. وتنوعت بهم العبارات. وكثرت الإشارات، بحسب إدراك الشخص ومقامه وحاله، وملكه للعبارة) [18].

ومما قيل في حد المحبة ورسمها كما ذكرها ابن قيم الجوزية كانت في حدود الثلاثون حداً ولكن سأقتصر تعلى ذكر عشرة منها وهي كالتالي [19]:

1- الميل الدائم بالقلب الهائم.

2- إيثار المحبوب على جميع المصحوب.

3- موافقة الحبيب في المشهد والمغِيب.

4- مواطأة القلب لمرادات المحبوب. 5- استكثار القليل من جنايتك، واستقلال الكثير من طاعتك.

6- سقوط كل محبة من القلب إلا محبة الحبيب.

7- ميلك للشيء بكليتك، ثم إيثارك له على نفسك، وروحك، ومالك، ثم موافقتك له سراً، وجهراً، ثم علمك بتقصيرك في حبه.

8- الدخول تحت رق المحبوب وعبوديته، والحرية من استرقاق ما سواه.

9- سفرُ القلب في طلب المحبوب، ولهجُ اللسان بذكره على الدوام.

10- المحبة أن يكون كُلُّكَ بالمحبوب مشغولاً، وذلُّك له مبذولاً.

المطلب الثاني: أقسام المحبة ومراتبها.

أولاً: أقسام المحبة:

---

[16] ابن القيم، مدارج السالكين، ج17/3.

[17] القاضي عياض، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، ج30/2.

[18] ابن القيم، مدارج السالكين، ج11/3.

[19] ابن القيم، مدارج السالكين، ج13/3-18.

بالنظر إلى أقوال ابن القيم في ذكره لأقسام المحبة نجد أنه ذكر قسمين من أقسامها ويندرج تحت كل قسم مجموعة من الأنواع وهي كالتالي:

القسم الأول: باعتبار العموم:

وههنا أربعة أنواع من المحبّة يجب التفريق بينها، وإنّما ضلّ من ضلّ بعدم التمييز بينها:

1- محبة الله: ولا تكفي وحدها في النجاة من عذابه والفوز بثوابه، فإنّ المشركين وعبّاد الصليب واليهود وغيرهم يحبّون الله.

قال محمد بن عبد الوهاب: (ومنها: آية البقرة في الكفار الذين قال فيهم: {وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّار} [البقرة:167] ذكر أنهم يحبون أندادهم كحب الله، 4 فدل على أنهم يحبون الله حبا عظيما ولم يدخلهم في الإسلام) [20].

2- محبة ما يحبّه الله: وهذه هي التي تُدخله في الإسلام، وتُخرجه من الكفر، وأحبُّ الناس إلى الله أقوَمُهم بهذه المحبة وأشدّهم فيها.

3- الحبّ لله وفيه: وهي من لوازم محبة ما يحبّ، ولا يستقيم محبة ما يحب إلا بالحبّ فيه وله.

4- المحبة مع الله: وهي المحبة الشركية، وكلّ من أحبّ شيئًا مع الله، لا لله ولا من أجله ولا فيه، فقد اتخذه ندًّا من دون الله، وهذه محبة المشركين.

5- المحبة الطبيعية، وهي ميل الإنسان إلى ما يلائم طبعه، كمحبة العطشان للماء، والجائع للطعام، ومحبة النوم والزوجة والولد. فتلك لا تُذَمّ إلا إذا ألهَتْ عن ذكر الله وشغلتْ عن محبته، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المنافقون:] وقال: ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [النور: 37] [21].

القسم الثاني: باعتبار مُتعلقها: [22].

1- المحبة النافعة: هي التي تجلب لصاحبها ما ينفعه من السعادة والنعيم.

فمن المحبة النافعة: محبة الزوجة وما ملكت يمين الرجل، فإنها معينة على ما شرع الله سبحانه له من النكاح وملك اليمين، من إعفاف الرجل نفسه وأهله، فلا تطمح نفسه إلى سواها من الحرام، ويعفها، فلا تطمح نفسها إلى غيره، وكلما كانت المحبة بين الزوجين أتم وأقوى كان هذا المقصود أتم وأكمل، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ [الأعراف: 189] ، وقال: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَل بَيْنَكُمْ مَوَدَّةَ وَرَحْمَةً﴾ [الروم: 21] .

فالمحبة النافعة ثلاثة أنواع: محبة الله ومحبة في الله، ومحبة ما يعين على طاعة الله تعالى واجتناب معصيته.

2- المحبة الضارة: هي التي تجلب لصاحبها مايضره من الشقاء والألم والعناء.

وهي ثلاثة أنواع أيضاً:

1. المحبة مع الله.
2. محبة ما يبغضه الله.
3. محبة ما تقطع محبته عن محبة الله تعالى أو تنقصها.

---

[20] عبد الوهاب، محمد، فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، ص112.

[21] ابن القيم، الداء والدواء = الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، ص443-444.

[22] ابن القيم، انظر إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، ج2/136-142.

فمن النوع الأول: محبة المشركين للأصنام كحب الله تعالى.

ومن النوع الثاني: محبة الفواحش والمنكرات التي يبغضها الله تعالى.

ومن النوع الثالث: العشق الذي يزيد عن حده حتى يضيع الأوامر، ويدخل في النواهي وكذلك حب المال واللعب وغير ذلك من المباحات.

ثانياً: مراتب المحبة

تناول ابن قيم الجوزية رحمه الله الحديث عن المحبة ومراتبها في العديد من مؤلفاته. إذ بين أن مراتب المحبة عشرة مراتب وهي:

(العلاقة- الإرادة- الصبابة- الغرام- الوداد- الشغف- العشق- التتيم- التعبد- الخلة).

الأولى: العلاقة: وسميت علاقة لتعلق القلب بالمحبوب. قال الشاعر:

أعلاقة أم الوليد بعيد ما ... أفنان رأسك كالثغام المخلس.

الثانية: الإرادة: وهي ميل القلب إلى محبوبه وطلبه له.

الثالثة: الصبابة: وهي انصباب القلب إليه. بحيث لا يملكه صاحبه. كانصباب الماء في الحدور. ... والصبابة: الميل اللازم. وانصباب القلب بكليته.

الرابعة: الغرام: وهو الحب اللازم للقلب، الذي لا يفارقه. بل يلازمه كملازمة الغريم لغريمه. ومنه سمي عذاب النار غراما للزومه لأهله. وعدم مفارقته لهم. قال تعالى: ﴿إن عذابها كان غراما﴾ [الفرقان: 65].

الخامسة: الوداد: وهو صفو المحبة، مراتبها عشرة وخالصها ولبها، والودود من أسماء الرب تعالى.

السادسة: الشغف: يقال: شغف بكذا. فهو مشغوف به. وقد شغفه المحبوب. أي وصل حبه إلى شغاف قلبه. كما قال النسوة عن امرأة العزيز: ﴿قد شغفها حبا﴾ (يوسف: 30]) وفيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه الحب المستولي على القلب، بحيث يحجبه عن غيره. قال الكلبي: حجب حبه قلبها حتى لا تعقل سواه.

الثاني: الحب الواصل إلى داخل القلب. قال صاحب هذا القول: المعنى أحبته حتى دخل حبه شغاف قلبها، أي داخله.

الثالث: أنه الحب الواصل إلى غشاء القلب. والشغاف غشاء القلب إذا وصل الحب إليه باشر القلب. قال السدي: الشغاف جلدة رقيقة على القلب. يقول: دخله الحب حتى أصاب القلب.

السابعة: العشق: وهو الحب المفرط الذي يخاف على صاحبه منه. وعليه تأول محمد بن عبد الوهاب [23].

﴿ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به﴾ [البقرة: 286] قال محمد: هو العشق.

الثامنة: التتيم: وهو التعبد، والتذلل. يقال: تيمه الحب أي ذلله وعبده. وتيم الله: عبد الله. وبينه وبين اليتم – الذي هو الانفراد – تلاق في الاشتقاق الأوسط، وتناسب في المعنى. فإن المتيم المنفرد بحبه وشجوه. كانفراد اليتيم بنفسه عن أبيه، وكل منهما مكسور ذليل. هذا كسره يتم. وهذا كسره تتيم.

---

[23] مُحَمَّد بن عبد الوهاب بْن حبيب بْن مهران العبدي، أَبُو أَحْمَد الفراء النيسابوري، قَال الحاكم أَبُو عَبد اللَّهِ: مُحَمَّد بْن عبد الوهاب بن حبيب ابن مهران العبدي، أَبُو أَحْمَد الأديب الفقيه المحدث المعروف بالفراء، وكان من أعقل مشايخنا، ويلقب بحمك، وذاك أن أهل الثروة والشرف في بلاد خراسان وخصوصا بنيسابور يلقبون أولادهم لعزهم وشفقتهم عليهم فيقولون لمحمد: حمك أو حمش، أو غير ذلك. المزي، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ج29/26.

التاسعة: التعبد: وهو فوق التتيم. فإن العبد هو الذي قد ملك المحبوب رقه فلم يبق له شيء من نفسه البتة. بل كله عبد لمحبوبه ظاهرا وباطنا. وهذا هو حقيقة العبودية. ومن كمل ذلك فقد كمل مرتبتها.

وحقيقة العبودية: الحب التام، مع الذل التام والخضوع للمحبوب. تقول العرب طريق معبد أي قد ذللته الأقدام وسهلته.

العاشرة: مرتبة الخلة: التي انفرد بها الخليلان – إبراهيم ومحمد صلى الله عليهما وسلم.

قال الله تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴾ [النساء: 125]. وعن عبد الله بن مسعود . رضي الله عنه . قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلَا إِنِّي أَبْرَأُ إِلَى كُلِّ خِلٍّ مِنْ خِلِّهِ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا، لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، إِنَّ صَاحِبَكُمْ خَلِيلُ اللهِ» [24]. [25].

المطلب الثالث: علامات المحبة وشواهدها

لقد فصل ابن القيم رحمه الله في روضة المحبين بذكره لعلامات وشواهد المحبة قائلاً:

من علامات المحبة التي يستدل بها عليها[26]:

1- كثرة ذكر المحبوب واللهج بذكره وحديثه: فمن أحب شيئا أكثر من ذكره بقلبه ولسانه ولهذا أمر الله سبحانه عباده بذكره على جميع الأحوال وأمرهم بذكره أخوف ما يكونون فقال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال:45]

2- الانقياد لأمر المحبوب وإيثاره على مراد المحب... قال الله تعالى ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران:31] فجعل سبحانه متابعة رسوله سببا لمحبتهم له وكون العبد محبوبا لله أعلى من كونه محبا لله فليس الشأن أن تحب الله ولكن الشأن أن يحبك الله فالطاعة للمحبوب عنوان محبته.

3- قلة صبر المحب عن المحبوب: بل ينصرف صبره إلى الصبر على طاعته والصبر عن معصيته والصبر على أحكامه فهذا صبر المحب وأما الصبر عنه فصبر الفارغ عن محبته المشغول بغيره.

4- الإقبال على حديث المحبوب وإلقاء سمعه كله إليه: بحيث يفرغ لحديثه سمعه وقلبه وإن ظهر منه إقبال على غيره فهو إقبال مستعار يستبين فيه التكلف لمن يرمقه... وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا اجتمعوا أمروا قارئا أن يقرأ وهم يستمعون وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا دخل عليه أبو موسى يقول يا أبا موسى ذكرنا ربنا فيقرأ أبو موسى وربما بكى عمر، ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبي موسى رضي الله عنه وهو يصلي من الليل فأعجبته قراءته فوقف واستمع لها فلما غدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم "قال لقد مررت بك البارحة وأنت تقرأ فوقفت واستمعت لقراءتك فقال لو أعلم أنك كنت تسمع لحبرته لك تحبيراً.

5- محبة دار المحبوب وبيته: حتى محبة الموضع الذي حل به وهذا هو السر الذي لأجله علقت القلوب على محبة الكعبة البيت الحرام حتى استطاب المحبون في الوصول إليها هجر الأوطان والأحباب.

6- الإسراع إلى المحبوب في السير: وحث الركاب نحوه وطي المنازل في الوصول إليه والاجتهاد في

---

[24] صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، بَابُ مِنْ فَضَائِلِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ح (2383)، ج1856/4.

[25] انظر: ابن القيم، مدارج السالكين، ج 3/ 29- 32.

[26] ابن القيم، روضة المحبين، ص264-274.

القرب والدنو منه وقطع كل قاطع يقطع عنه وإطراح الأشغال الشاغلة عنه والزهد فيها والرغبة عنها والاستهانة بكل ما يكون سببا لغضبه ومقته وإن جل والرغبة في كل ما يدني إليه.

7- محبة أحباب المحبوب وجيرانه: وخدمه وما يتعلق به حتى حرفته وصناعته وآنيته وطعامه ولباسه.... وكان أنس بن مالك رضي الله عنه يحب الدباء كثيرا لما رأى النبي صلى الله عليه وسلم يتتبعها من جوانب القصعة ..... ومنها قصر الطريق حين يزوره ويوافي إليه كأنها تطوى له وطولها إذا انصرف عنه وإن كانت قصيرة.

8- انجلاء همومه وغمومه: إذا زار محبوبه أو زاره وعودها إذا فارقه.

9- البهت والروعة التي تحصل عند مواجهة الحبيب أو عند سماع ذكره: ولا سيما إذا رآه فجأة أو طلع عليه بغتة.

10- غيرته لمحبوبه وعلى محبوبه: فالغيرة له أن يكره ما يكره ويغار إذا عصي محبوبه وانتهك حقه وضيع أمره فهذه غيرة المحب حقا والدين كله تحت هذه الغيرة

فأقوى الناس دينا أعظمهم غيرة وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح "أتعجبون من غيرة سعد لأنا أغير منه والله أغير مني" فمحب الله ورسوله يغار لله ورسوله على قدر محبته وإجلاله وإذا خلا قلبه من الغيرة لله ولرسوله فهو من المحبة أخلى وإن زعم أنه من المحبين فكذب من ادعى محبة محبوب من الناس وهو يرى غيره ينتهك حرمة محبوبه ويسعى في أذاه ومساخطه ويستهين بحقه ويستخف بأمره وهو لا يغار لذلك بل قلبه بارد فكيف يصح لعبد أن يدعي محبة الله وهو لا يغار لمحارمه إذا انتهكت ولا لحقوقه إذا ضيعت وأقل الأقسام أن يغار له من نفسه وهواه وشيطانه فيغار لمحبوبه من تفريطه في حقه وارتكابه لمعصيته وإذا ترحلت هذه الغيرة من القلب ترحلت منه المحبة بل ترحل منه الدين وإن بقيت فيه آثاره وهذه الغيرة هي أصل الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهي الحاملة على ذلك فإن خلت من القلب لم يجاهد ولم يأمر بالمعروف ولم ينه عن المنكر.

المبحث الثاني: محبة الله للعبد

ليس العجيب في عبد يتودد إلى سيده، ولكن العجب كل العجب في ملك يتودد إلى عبيده، وحقاً إنه لأمر عجاب أن يحب مالك الملك عبداً فقيراً، أشعث أغبر، مدفوعاً بالأبواب، بل تبلغ مكانته عنده أنه لو أقسم على الله لأبره، يقول المصطفى ﷺ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَعِّفٍ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبَرَّهُ» [27].

قال ابن القيم _ رحمه الله تعالى: "وتأمل كذلك كيف جعل محبته لعبده متعلقة بأداء فرائضه، والتقرب إليه بالنوافل بعدها لا غير، وفي هذا تعزية لمدعي محبته بدون ذلك أنه ليس من أهلها، وإنما معه الأماني الباطلة والدعاوي الكاذبة " [28].

أن محبة الله – عز وجل – لبعض الأشخاص والأعمال والأخلاق صفةٌ له تعالى قائمةٌ به، وهي من صفات الفعل الاختيارية التي تتعلق بمشيئتِه، فهو يحب بعض الأشياء دون بعض على ما تقتضيه الحكمة البالغة، ومعنى (محبة الله للعبد): إرادته لثوابه، وعفوه عنه، وانعامه عليه [29].

---

[27] صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب "عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ"، ص869، ح: 4918.

[28] ابن القيم، روضة المحبين ونزهة المشتاقين، ص 411.

[29] الواحدي، التَّفْسِيرُ البَسِيْط، ج181/5. انظر أيضاً: الواحدي، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، ج429/1.

وقال الإمام أبو عبد الله القرطبي: ومحبة الله للعباد إنعامه عليهم بالغفران، قال الله تعالى: {فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الْكَافِرِينَ} [آل عمران:32]؛ أي لا يغفر لهم [30].

وقال العلامة السعدي: فإن محبة الله للعبد هي أجلُّ نعمة أنعم بها عليه، وأفضل فضيلة تفضل الله بها عليه، وإذا أحب الله عبدا يسر له الأسباب، وهوَّن عليه كل عسير، ووفقه لفعل الخيرات وترك المنكرات، وأقبل بقلوب عباده إليه بالمحبة والوداد [31].

وقال العلامة الشوكاني: ومعنى محبة الله لهم الرضا عنهم والإحسان إليهم؛ كما يفعل المحبُّ بمحبوبه [32].

وقال النسفي: ومعنى محبة الله إياهم أنه يرضى عنهم، ويحسن إليهم؛ كما يفعل المحب بمحبوبه . [33]

وقال العلامة بدر الدين العيني: محبة الله للعبد إيصال الخير إليه بالتَّقرُّب والإثابة [34].

وقال المناوي: محبة الله تعالى لعبده إرادته به الخير، وهدايته، وتوفيقه له [35].

كما أن محبة الله عبده غير محبة العبد ربه، وأسباب تحصيل هذه غير أسباب تحصيل تلك، وإن كانت بعض الأسباب تؤدي إلى كلتيهما. بل إن كلتيهما طريقٌ إلى الأخرى؛ فمحبة العبد ربه تجلبُ محبته تعالى ذلك العبدَ، والعكس أقرب لصراحة النصوص فيه، في حين أن الأول من استنباط العلماء.

المطلب الثاني: أسباب محبة الله للعبد

ذكر ابن القيم –رحمه الله– الأسباب الجالبة للمحبة وهي عشرة:

أحدها: قراءة القرآن بالتدبر والتفهم لمعانيه وما أريد به، كتدبر الكتاب الذي يحفظه العبد ويشرحه. ليتفهم مراد صاحبه منه.

الثاني: التقرب إلى الله بالنوافل بعد الفرائض. فإنها توصله إلى درجة المحبوبية بعد المحبة.

الثالث: دوام ذكره على كل حال: باللسان والقلب، والعمل والحال. فنصيبه من المحبة على قدر نصيبه من هذا الذكر.

الرابع: إيثار محابه على محابك عند غلبات الهوى، والتسنم إلى محابه، وإن صعب المرتقى.

الخامس: مطالعة القلب لأسمائه وصفاته، ومشاهدتها ومعرفتها. وتقلبه في رياض هذه المعرفة ومباديها. فمن عرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله: أحبه لا محالة. ولهذا كانت المعطلة والفرعونية والجهمية قطاع الطريق على القلوب بينها وبين الوصول إلى المحبوب.

السادس: مشاهدة بره وإحسانه وآلائه، ونعمه الباطنة والظاهرة. فإنها داعية إلى محبته.

السابع: وهو من أعجبها، انكسار القلب بكليته بين يدي الله تعالى. وليس في التعبير عن هذا المعنى غير الأسماء والعبارات.

الثامن: الخلوة به وقت النزول الإلهي، لمناجاته وتلاوة كلامه، والوقوف بالقلب والتأدب بأدب العبودية بين يديه. ثم ختم ذلك بالاستغفار والتوبة.

التاسع: مجالسة المحبين الصادقين، والتقاط أطايب ثمرات كلامهم كما ينتقي أطايب الثمر. ولا تتكلم إلا إذا ترجحت مصلحة الكلام، وعلمت أن فيه مزيدا لحالك، ومنفعة لغيرك.

---

[30] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج92/5.

[31] السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص214.

[32] الشوكاني، فتح القدير، ج585/2.

[33] النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ج110/2.

[34] العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ج155/25.

[35] المناوي، فيض القدير شرح الجامع الصغير، ج179/1.

العاشر: مباعدة كل سبب يحول بين القلب وبين الله عز وجل.

فمن هذه الأسباب العشرة: وصل المحبون إلى منازل المحبة. ودخلوا على الحبيب. وملاك ذلك كله أمران: استعداد الروح لهذا الشأن، وانفتاح عين البصيرة [36].

المطلب الثالث: دواعي المحبة

قال ابن القيم الجوزية في دواعي المحبة:

الداعي قد يراد به الشعور الذي تتبعه الإرادة والميل فذلك قائم بالمحب وقد يراد به السبب الذي لأجله وجدت المحبة وتعلقت به وذلك قائم بالمحبوب ونحن نريد بالداعي مجموع الأمرين وهو ما قام بالمحبوب من الصفات التي تدعو إلى محبته وما قام بالمحب من الشعور بها والموافقة التي بين المحب والمحبوب وهي الرابطة بينهما.

فها هنا أمور وصف المحبوب وجماله وشعور المحب به والمناسبة وهي العلاقة والملاءمة التي بين المحب والمحبوب فمتى قويت الثلاثة وكملت قويت المحبة واستحكمت ونقصان المحبة وضفعها بحسب ضعف هذه الثلاثة أو نقصها فمتى كان المحبوب في غاية الجمال وشعور المحب بجماله أتم شعور والمناسبة التي بين الروحين قوية فذلك الحب اللازم الدائم وقد يكون الجمال في نفسه ناقصا لكن هو في عين المحب كامل فتكون قوة محبته بحسب ذلك الجمال عنده فإن حبك للشيء يعمي ويصم فلا يرى المحب أحدا أحسن من محبوبه.

وقد يكون الجمال موفراً لكنه ناقص الشعور به فتضعف محبته لذلك فلو كشف له عن حقيقته لأسر قلبه ولهذا أمر النساء بستر وجوههن عن الرجال فإن ظهور الوجه يسفر عن كمال المحاسن فيقع الافتتان ولهذا شرع للخاطب أن ينظر إلى المخطوبة فإنه إذا شاهد حسنها وجمالها كان ذلك أدعى إلى حصول المحبة والألفة بينهما.

وربما لم تقع البتة فإن التناسب الذي بين الأرواح من أقوى أسباب المحبة فكل امرىء يصبو إلى ما يناسبه.

وهذه المناسبة نوعان أصلية من أصل الخلقة وعارضة بسبب المجاورة أو الاشتراك في أمر من الأمور فإن من ناسب قصدك قصده حصل التوافق بين روحك وروحه فإذا اختلف القصد زال التوافق فأما التناسب الأصلي فهو اتفاق أخلاق وتشاكل أرواح وشوق كل نفس إلى مشاكلها فإن شبه الشيء ينجذب إليه بالطبع فتكون الروحان متشاكلتين في أصل الخلقة فتنجذب إليه بالطبع فتكون الروحان متشاكلتين في أصل الخلقة فتنجذب كل منهما إلى الأخرى بالطبع.

وقد يقع الانجذاب والميل بالخاصية وهذا لا يعلل ولا يعرف سببه كانجذاب الحديد إلى الحجر المغناطيس ولا ريب أن وقوع هذا القدر بين الأرواح أعظم من وقوعه بين الجمادات.

ودواعي المحبة تجتمع في الجمال والإجمال معاً الجمال والأخلاق"، فمتى كان جميل الصورة جميل الأخلاق والشيم والأوصاف كان الداعي منه أقوى وداعي المحبة أربعة أشياء:

1- أولها النظر إما بالعين أو بالقلب إذا وصف له فكثير من الناس يحب غيره ويفنى فيه محبة وما رآه لكن وصف له.

2- الاستحسان فإن لم يورث نظره استحسانا لم تقع المحبة.

3- الفكر في المنظور وحديث النفس به فإن شغل عنه بغيره مما هو أهم عنده منه لم يعلق حبه بقلبه وإن كان لا يعدم خطرات وسوانح.

[36] ابن القيم، مدارج السالكين، ج3/18-19.

4- الطمع في الوصول إلى المحبوب.

فإذا وجد النظر والاستحسان والفكر والطمع هاجت بلابله وأمكن من معشوقه مقاتله واستحكم داؤه وعجز عن الأطباء دواؤه [37].

المبحث الثالث: محبة العبد لله

المطلب الأول: معنى محبة العبد لله

معنى حب العبد لله: استقامتهِ في طاعته، والتزامه أوامره ونواهيه في كل شيء ولهذا قال بعضهم: المحبةُ مواطأة القلب على ما يُرضى الرب، فيحبُ ما أحب ويكره ما كره .

قال أهل العلم: معنى (محبة العبد لله): إرادته طاعته، وإيثاره أمره، ورضاه بشرائعه .

المطلب الثاني: لوازم محبة العبد لله

إن من لزوم محبة العبد لله عز وجل أن يكون هنالك كمال للعبودية وهذه العبودية تتحقق بالإخلاص ومتابعة الرسول.

قال ابن القيم رحمه الله: (فإن انعدم الإخلاص والمتابعة: انعكس سيره إلى خلف. وإن لم يبذل جهده ويوحد طلبه: سار سير المقيد) [38].

وقال في موضع آخر: (وحق الله تعالى في الطاعة ستة أمور وهي: الإخلاص في العمل، والنصيحة لله فيه، ومتابعة الرسول فيه، وشهود مشهد الإحسان فيه، وشهود منة الله عليه فيه، وشهود تقصيره فيه بعد ذلك كله) [39].

أولاً: الإخلاص

محبة الله عزوجل تتمحور بإخلاص العبد لله عزو جل في طاعته فمحب الله هو المخلص له.

فإن الإخلاص هو تجريد القصد طاعة للمعبود، ولم يؤمر إلا بهذا. وإذا كان هذا هو المأمور به فلم يأت به بقي في عهدة الأمر [40]. .

كما أن الإخلاص: تصفية العمل من كل شوب. أي لا يمازج عمله ما يشوبه من شوائب إرادات النفس إما طلب التزين في قلوب الخلق، وإما طلب مدحهم، والهرب من ذمهم، أو طلب تعظيمهم، أو طلب أموالهم أو خدمتهم ومحبتهم وقضائهم حوائجه، أو غير ذلك من العلل والشوائب، التي عقد متفرقاتها هو إرادة ما سوى الله بعمله، كائنا ما كان) [41] .

ثانياً: متابعة الرسول

إن أصل العبادة هو محبة الله، فلا يُحب سواه، وإنما يحب لأجله، كحبنا لأنبياءه ورسله وملائكته، فحبهم ليس معه بل من كمال محبته.

فمحبته عز وجل تكون بعبوديته وعبوديته باتباع أوامره ونواهيه، وذلك باتباع الرسول.

قال ابن القيم: (يعنى أن متابعة الرسول هي موافقة حبيبكم، [فإنه] المبلغ عنه ما يحبه وما يكرهه [وهي قوله] [فمتابعته موافقة لله في فعل ما يحب وترك ما يكره]) [42].

المطلب الثالث: شرك المحبة

محبة الله عز وجل شط من شروط لا إله إلا الله والإخلاص في التوحيد. فلابد من إخلاص المحبة لله

---

[37] انظر: ابن القيم، روضة المحبين ونزهة المشتاقين، ص66.

[38] ابن القيم الجوزية، مدارج السالكين، ج97/2.

[39] ابن القيم الجوزية، إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، ج82/1.

[40] ابن القيم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين، ج125/2.

[41] ابن القيم الجوزية، مدارج السالكين، ج93/2.

[42] ابن القيم الجوزية، طريق الهجرتين وباب السعادتين، ص303.

عز وجل فلا يكون معه محب غيره وسواه، فأصل الإيمان الحب في الله والبغض في الله. {وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلّهِ} [البقرة:165].

والإشراك في المحبة هو أصل كل إشراك "قولي، وعملي"، فالمشركون أصل شركهم هو اتخاذهم أنداداً مع الله يحبونهم كحبهم لله.

قال تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللّهِ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ} [البقرة:165]

قال محمد بن عبد الوهاب: (فكل من اتخذ ندا لله يدعوه من دون الله، ويرغب إليه ويرجوه لما يؤمله منه من قضاء حاجاته وتفريج كرباته – كحال عباد القبور والطواغيت والأصنام – فلا بد أن يعظموهم ويحبوهم لذلك؛ فإنهم أحبوهم مع الله وإن كانوا يحبون الله تعالى. ويقولون "لا إله إلا الله" ويصلون ويصومون، فقد أشركوا بالله في المحبة بمحبة غيره وعبادة غيره. فاتخاذهم الأنداد يحبونهم كحب الله يبطل كل قول يقولونه وكل عمل يعملونه؛ لأن المشرك لا يقبل منه عمل ولا يصح منه. وهؤلاء وإن قالوا: "لا إله إلا الله" فقد تركوا كل قيد قيدت به هذه الكلمة العظيمة: من العلم بمدلولها؛ لأن المشرك جاهل بمعناها، ومن جهله بمعناها جعل لله شريكا في المحبة وغيرها، وهذا هو الجهل المنافي للعلم بما دلت عليه من الإخلاص، ولم يكن صادقا في قولها؛ لأنه لم ينف ما نفته من الشرك، ولم يثبت ما أثبتته من الإخلاص، وترك اليقين أيضا؛ لأنه لو عرف معناها وما دلت عليه لأنكره أو شك فيه، ولم يقبله وهو الحق، ولم يكفر بما يعبد من دون الله؛ كما في الحديث. بل آمن بما يعبد من دون الله باتخاذه الند ومحبته له وعبادته إياه من دون الله، كما قال تعالى: {وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلّهِ} [البقرة:165]؛ لأنهم أخلصوا له الحب فلم يحبوا إلا إياه، ويحبون من أحب ويخلصون أعمالهم جميعا لله، ويكفرون بما عبد من دون الله).

قال ابن القيم – رحمه الله تعالى –: (فتوحيد المحبوب أن لا يتعدد محبوبه أي مع الله تعالى بعبادته له، وتوحيد الحب: أن لا يبقى في قلبه بقية حب حتى يبذلها له، فهذا الحب – وإن سمي عشقا – فهو غاية صلاح العبد ونعيمه وقرة عينه، وليس لقلبه صلاح ولا نعيم إلا بأن يكون الله ورسوله أحب إليه من كل ما سواهما، وأن تكون محبته لغير الله تابعة لمحبة الله تعالى، فلا يحب إلا الله، ولا يحب إلا لله، كما في الحديث الصحيح: قال عليه الصلاة والسلام: «ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لاَ يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ» [(43)].

ومحبة رسول الله صلي الله عليه وسلم هي من محبة الله، ومحبة المرء إن كنت لله فهي من محبته، وإن كانت لغير الله فهي منقصة لمحبة الله مضعفة لها، ويصدق هذه المحبة بأن تكون كراهيته لأبغض الأشياء إلى محبوبه – وهو الكفر – بمنزلة كراهيته لإلقائه في النار أو أشد، ولا ريب أن هذا من أعظم المحبة، فإن الإنسان لا يقدم على محبة نفسه وحياته شيئا، فإذا قدم محبة الإيمان بالله على نفسه بحيث لو خير بين الكفر وبين إلقائه في النار لاختار أن يلقى في النار ولا يكفر، كان أحب إليه من نفسه، وهذه المحبة هي فوق ما يجده العشاق المحبون من محبة محبوبيهم، بل لا

[(43)] صحيح البخاري، كتاب الإيمان، بَابُ حَلاَوَةِ الإِيمَانِ، ح (16) ج12/1. وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، بَابُ بَيَانِ خِصَالٍ مَنِ اتَّصفَ بِهِنَّ وَجَدَ حَلاَوَةَ الْإِيمَانِ، ح (67)، ج66/1.

نظير لهذه المحبة؛ كما لا مثل لمن تعلقت به، وهي محبة تقتضي تقديم المحبوب فيها على النفس والمال والولد. وتقتضي كمال الذل والخضوع والتعظيم والإجلال والطاعة والانقياد ظاهرا وباطنا. وهذا لا نظير له في محبة المخلوق، ولو كان المخلوق من كان. ولهذا من أشرك بين الله وبين غيره في هذه المحبة الخاصة كان مشركا شركا لا يغفره الله؛ كما قال تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلَّهِ} 3. والصحيح: أن معنى الآية: أن الذين آمنوا أشد حبا لله من أهل الأنداد لأندادهم. كما تقدم أن محبة المؤمنين لربهم لا يماثلها محبة مخلوق أصلا، كما لا يماثل محبوبهم غيره. وكل أذى في محبة غيره فهو نعيم في محبته. وكل مكروه في محبة غيره فهو قرة عين في محبته. ومن ضرب لمحبته الأمثال التي في محبة المخلوق للمخلوق: كالوصل، والهجر والتجني بلا سبب من المحب، وأمثال ذلك مما يتعالى الله عنه علوا كبيرا، فهو مخطئ أقبح الخطأ وأفحشه، وهو حقيق بالإبعاد والمقت) [44].

الخاتمة:

الحمد الله رب العالمين، وأفضل الصلاة، وأتم التسليم على خاتم الأنبياء، والمرسلين نبينا محمد وبعد:

فقد تناولت الدراسة موضوع المحبة عند ابن القيم الجوزية وقد توصلت الباحثة إلى عدة نتائج من أهمها:

1- العصر الذي عاشه ابن القيم الجوزية كان له تأثير كبير في صقل شخصيته كما أن البيئة التي نشأ بها ابن القيم الجوزية رحمه الله، جعلته من رواد العلم والعلماء.

2- أن المحبة شيء عظيم يستوجب تعظيم المحبوب وتقديمه على كل ما سواه وطاعته.

3- أن المحبة تدور حول معاني الخير والود، حب الله لعبده، وحب العبد لله، بتطيب لسانه بذكره والعمل بما يرضيه.

4- محبة الله أساس الإيمان وأصل العبادة.

5- للمحبة أسماء عديدة تحمل في طياتها مدلول التعلق بالمحبوب.

6- للمحبة درجات تتفاوت فيما بينها بالمعنى والقوة.

7- عبوديَّة العبد لربّه تتضمَّن كمال محبته، وكمال تعظيمه.

8- من ألزم لوازم عبوديَّة العبد لربّه أن تكون محبته وكراهته موافقة لمحبة الله تعالى وكراهته، فإنَّه بذلك يتعرَّف إلى ما ينفعه فيحرص عليه، وما يضره فيتجنبه.

9- قوَّة محبَّة العبد لربّه دليل على قوَّة الإيمان، وعكس ذلك صحيح.

10- محبَّة العبد لربّه تحول بينه وبين عذاب الله تعالى في الدنيا والآخرة.

11- الحب في الله والبغض في الله، أوثق عرى الإيمان.

12- يجب تقديم محبة الله على محبة النفس والأهل والمال.

13- المحبة إنَّما تثبت لصاحبها بمتابعة الرسول صلى الله عليه وسلم في أعماله وأقواله وأخلاقه.

التوصيات:

1- الاهتمام بعبادة محبَّةَ الله وجلّ، وتعزيز مبادئها وقيمها في الفرد والأسرة والمجتمع.

2- تعزيز مفهوم حرص العبد على محبّة الله تعالى له من خلال متابعة واتباع الرسول صلى الله عليه

---

[44] ابن القيم، روضة المحبين ونزهة المشتاقين، ص 199.

وسلَّم، فإنَّ المحبَّة دليل على قوة اتصال المحب بمن يحب.

3- التركيز على الدور الواضح للدَّعاة والعاملين في الحقل الإسلامي في الاهتمام بعبادة المحبَّة ونشرها بين جماهير الأمَّة.

4- إنشاء قاعدة معلوماتية لتكون منطلقاً للباحثين والعلماء والمثقفين لتعزيز عبادة المحبَّة.

المراجع والمصادر:

1- ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين (المتوفى: 751هـ)، إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، تحقيق: محمد حامد الفقي، ص 265، الناشر: مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية، بدون سنة نشر وطبعة.

2- ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين (المتوفى: 751هـ)، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، تحقيق: أحمد عبد القادر الرفاعي، الناشر: مكتبة دار قتيبة، بيروت، 1421هـ-2001م.

3- ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين (المتوفى: 751هـ)، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة1416 هـ - 1996م.

4- ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين (المتوفى: 751هـ)، روضة المحبين ونزهة المشتاقين، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: 1403هـ/1983 م.

5- ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين (المتوفى: 751هـ) الداء والدواء = الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، حققه: مُحَمَّد أجمل الإصْلاَحي، خرج أحاديثه: زائد بن أحمد النشيري، الناشر: مجمع الفقه الإسلامي بجدة، طبعة دار عالم الفوائد بجدة، الطبعة: الأولى، 1429هـ.

6- ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين (المتوفى: 751هـ)، روضة المحبين ونزهة المشتاقين، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: 1403هـ/1983 م.

7- ابن القيم الجوزية، محمد، بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين (المتوفى: 751هـ)، إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، الناشر: دار الجيل، بيروت، سنة النشر: 1973م.

8- ابن القيم الجوزية، محمد، بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين (المتوفى: 751هـ)، طريق الهجرتين وباب السعادتين، الناشر: دار السلفية، القاهرة، مصر، الطبعة: الثانية، 1394هـ.

9- ابن رجب، عبد الرحمن أحمد الحنبلي، الذيل على طبقات الحنابلة، تحقيق، عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، الناشر: مكتبة العبيقان، الرياض، طبعة: 1425هـ/2005م.

10- ابن كثير، أبو الفداء الحافظ إسماعيل القرشي الدمشقي، البداية والنهاية، تحقيق: دار أبي حيان، ط1، مكتبة دار أبي حيان، القاهرة، 1996م.

11- ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: 711هـ)، لسان العرب، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – 1414 هـ.

12- الاسفرائيني، عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي التميمي، أبو منصور (المتوفى: 429هـ)، الفَرْقُ بين الفِرَق وبيان الفرقة الناجية، الناشر: دار الآفاق الجديدة – بيروت، الطبعة: الثانية، 1977م.

13- الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد (المتوفى: 502هـ)، المفردات في غريب القرآن، المحقق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، الطبعة: الأولى 1412 هـ.

14- البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله الجعفي، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، 1422هـ.

15- الحفني، عبد المنعم، موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب والأحزاب والحركات الإسلامية، الناشر: مكتبة مدبولي، عربية، للطباعة والنشر، الطبعة الثالثة: 2005م.

16- الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان، ط دار بيروت، 1957م.

17- السبتي، عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي، أبو الفضل (المتوفى: 544هـ)، شَرْحُ صَحِيح مُسْلِمِ لِلقَاضِى عِيَاض المُسَمَّى إِكمَالُ المُعْلِمِ بفَوَائِدِ مُسْلِم، المحقق: الدكتور يحْيَى إِسْمَاعِيل، الناشر: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، الطبعة: الأولى، 1419 هـ - 1998 م.

18- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله (المتوفى: 1376هـ)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى1420هـ - 2000م.

19- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله اليمني (المتوفى: 1250هـ)، فتح القدير، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى - 1414 هـ.

20- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك، الوافي بالوافيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط- تركي مصطفى، ط 1، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان ،1420هـ/2000م.

21- عبد الوهاب، عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن سليمان التميمي (المتوفى: 1285هـ)، فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، المحقق: محمد حامد الفقي، الناشر: مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، مصر، الطبعة: السابعة، 1377هـ/1957م.

22- العيني، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين (المتوفى: 855هـ)، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

23- فراج، سمير، دولة المماليك، ط1، مركز الراية للنشر والإعلام، القاهرة، 2007م

24- القاضي عياض، بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل (المتوفى: 544هـ)، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، الناشر: دار الفيحاء - عمان، الطبعة: الثانية - 1407هـ.

25- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: 671هـ)، الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة: الثانية، 1384هـ - 1964 م.

26- المزي، يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي (المتوفى: 742هـ)، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، المحقق: د. بشار عواد معروف، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الأولى، 1400هـ – 1980م.

27- المقريزي، أحمد بن علي، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: د. محمد مصطفى زيادة، الناشر: لجنة التأليف والنشر، القاهرة، الطبعة: الثانية، 1957م.

28- المناوي، عبد الرءوف، فيض القدير شرح الجامع الصغير، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى – مصر، الطبعة الأولى 1356هـ.

29- النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، 1419 هـ – 1998 م.

30- النيسابوري، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري (المتوفى: 261هـ)، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

31- الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي النيسابوري، الشافعي (المتوفى: 468هـ)، التَّفْسِيرُ البَسِيْط، المحقق: أصل تحقيقه في (15) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه، الناشر: عمادة البحث العلمي – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الأولى، 1430 هـ.

32- الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي النيسابوري، الشافعي (المتوفى: 468هـ)، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس، قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، 1415 هـ – 1994 م.